

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112 العدد 4 (2009) : 132 - 152
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

النقاشات المنهجية التأسيسية الكبرى في فلسفة العلوم الاجتماعية

د/ عبد العزيز خواجة قسم علم الاجتماع المركز الجامعي – غرداية

تمهيد

رغم ما تعرفه العلوم من تخصصية دقيقة جدّا إلاّ أنّ تجميع نتائج الفكر البشري لن يتمّ إلاّ في ظلّ فلسفة أكبر، يهوى الكثيرون تسميتها بنظرية المعرفة أحياناً، لكن الإجماع قائم على كلمة الايبستمولوجيا أو فلسفة العلوم التي هي «أساساً الدراسة النقدية لمبادئ مختلف العلوم، ولفروضها ونتائجها، بقصد تحديد أصلها المنطقي (لا السيكولوجي) وبيان قيمتها وحصيلتها الموضوعية» حسب التعريف الأكثر تداولا لأندري لالاند **A.Lalande**(1).

ولأن خاض الأغلبية في تشريح التعريف وفقاً للمحتوى واللامحتوى المُتضمن سلباً وإيجاباً(2)، إلاّ أنّ المشكلات الكبرى أو المحاور الأساسية لفضاءات النقاش تكاد تجد نفسها متكرّرة في تجدّد ثابت... وتشهد اليوم انفجاراً رهيباً لفلسفات معرفية جزئية هنا وهناك، لكن تبقى القارّة المسمّاة "العلوم الاجتماعية" أكثرها حركية وغلياناً، وما يميّز مساحاتها مقارنةً بالعلوم الطبيعية سمة الصراع الشديد لمناهجها وموضوعاتها(3).

المحاور الكبرى للنقاش المعرفي: تستند الطروحات الكبرى القائمة في مجال العلوم الاجتماعية على مجموعة من المحاور الأساسية التي تحكم هذه العلوم وتوجّهها، أهمّها:

1– المادة والمُثل: تنطلق المعرفة الإنسانية قبل كلّ شيء من نقاش أساسي يتأرجح بين المثالية والمادية(4)، ويتساءل هل عالم الأفكار هو العالم الأوّل الذي يتميز بوجود مستقلّ؟ أم أنّ المادة هي الوجود الأوّل وما الأفكار إلاّ انحدار لها بطريقة أو بأخرى؟

تعني المثالية «كلّ ما ينتسب إلى الفكرة، وبالتالي يوجد في العقل بما هو فكرة... أي يوجد في الذهن، ولا يوجد، كما هو، في الواقع»[5] وهو اتجاه ساير الفلسفة منذ أفلاطون (428–347 ق.م) إذ ترى وجد أفكار مشكلة بطريقة ملائمة سابقة للتجربة. فالمساواة مثلاً تعتبر معرفة قبلية، ومن خلال مرجعيتها لهذه "الفكرة" نستطيع التقرب من الواقع الذي نعيشه لنحكم عليه، وحين نقول عن شيئين ملموسين بأن لهما نفس القياس أو، هما متساويان، فهذا لا يتعلق إلا بمقارنة تخمينية، كما أن الدائرة الجيدة (المثالية) تمكننا من الحكم على الدائرة المرسومة والملموسة. فعالم الأفكار (اللوغس Logos) له وجوده الخاص به، وبالنسبة لأفلاطون[6] أكثر من ذلك فهو حقيقة عليا (واقع) مثل حقيقة العالم المحسوس وما العالم المحسوس إلاّ خداع ووهم في جزئه الأكبر[7]. وتعتقد هذه المقاربة أنّ الوصول للمعرفة يتمّ من خلال العقل (La Raison) والحقيقة، وعن طريق اللغة لأن اللغة ما هي إلا تعبير عن الأشكال Formes الدالة عليها.

يجسّد هذا التقليد المثالي بالخصوص باركلي G.Berkeley (1685–1753) وكانط E.Kant (1724–1804) وهيجل G.W.Hegel (1770–1831)، وهو ما يزال متجذراً ومتأصلاً حتّى الآن، فبعض الفيزيائيين المعاصرين ينسبون أنفسهم له بكلّ وضوح مثل الفيزيائي شرودونجر E.Schrodinger (1887–1961)[8]. غير أن المثالية بعيدة عن أن تكون متجانسة، وهنا نشير إلى أصالة وتعقّد فكر إمانويل كانط، والذي يسجّل حسب الكثير من المفكرين ثورة إيبستمولوجية عن طريق محاولته لتخطي حدود التجريبية والاستقراء، فهو يرى وجود فئات قبلية للإدراك والذهن، وهذه الفئات أو الأصناف يتمّ اكتسابها من أجل قراءة التجربة، فالعلم بهذا ليس عقلاً خالصاً ولا تنظيراً محضاً[9].

واجهت فلاسفة العصور الوسطى نفس القضية التي سرعان ما سقطت في عالم النسيان وأصبحت مصطلحاً مهجوراً، فالكليات الخمس[10] (الجنس والنوع والفصل والخاصية، والعرض العام) تتعلق بمفاهيم عامة مثل "الإنسان" و"الجمال"، وهي بالنسبة لبعض الفلاسفة الذين يستندون أو ينتسبون إلى أفلاطون ويتبنون وجهة نظر واقعية، خاصة كليرفو Bernard de Clairvaux (1091–1153) لها وجود فعلي وواقعي يختلف عن وجود الأشياء

الخاصة التي تعنيها أو تحدّدها، مع انتمائها إلى عالم الأفكار، وبالنسبة لآخرين أمثال أبيلار Abelard (1079–1142) فهي ليست شيئا آخر غير الكلمات التي يُحدّد من خلالها الأفراد ما يلاحظونه فهي بهذا مجرد مفهوم "إسمي" فقط[11].

تجمع المادية بين أحضانها المذاهب أو الاتجاهات، عبر مختلف العصور، المعتقدة «بأنّ الأصل في الموجودات هي المادة، لا الروح أو العقل أو الشعور»[12] وأنّ الواقع المادي يوجد مستقلاً عن الفكر، فبالنسبة لكارل ماركس K.Marx (1818–1883) "حركة الفكر ما هي إلا انعكاس لحركة الواقع، منقولة ومحولة إلى ذهن الإنسان". فالوجود أسبق من الوعي، ووجود الأفراد هو الذي يحدّد وعيهم وليس العكس[13].

وقد ظهر التصور المادي منذ ما قبل التاريخ مع مؤلفات ديمقرايط Démocrite (حوالي 460 إلى 370 ق.م) وأبيقور Epicure (341– 270ق.م) واللذان هما موضوع أطروحة ماركس، ثمّ تطوّر هذا التصوّر المادي في عصور الأنوار نتيجة تراجع المثالية التي كانت مصبوغة ومتأثرة بمصادرها الدينية (أو التيارات الدينية). وتعتبر المادية شديدة الارتباط بانطلاق التفكير العلمي، لأنّ ممارسة المعرفة تفترض التفرقة بين الشيء الذي يجب معرفته وموضوع المعرفة[14].

وتتبنى المادية الميكانيكية نظرية الانعكاس، التي ترى أنّ الفكر ما هو إلاّ انعكاس سلبي للواقع المادي، وقد تعرّضت هذه الأطروحة لانتقادات شديدة ومناقشات حدّة، وإم كانت المادية الجدلية لكارل ماركس K.Marx وانجلز F.Engels تطمح إلى محاولة تجاوز المعارضة الكولاستيكية أو المدرسية –كما يصفها ماركس– بين المثالية والمادية. فمعالجة ماركس للتغيرات الجذرية للتاريخ وتحولات الواقع والاستقلالية النسبية للأفكار يعكس هذه الإرادة في تشكيل وبناء مادية ملائمة تتناسب مع دور الفكر البشري في بناء المعارف[15]. ويؤكد لينين V.J.Lenine (1870–1924) في كتابه "المادية ونقد العلم Matérialisme et empiriocriticisme" على خاصية "النقص" في المعارف باعتبارها خاصية دائمة تعكس عدم اكتمال منتوج المعارف العلمية[16].

ويجب أن نسجل هنا أيضاً أن "الكتابات المقدسة" للماركسية غالباً ما كانت تعطي

مقاربات ميكانيكية لأطروحة ماركس، في حين أنّ بعض الماركسين أعطوا دوماً أهمية خاصة للعلاقات الدياليكتيكية الجدلية بين الواقع المادي وعالم الأفكار، وهذا هو الجانب الذي طوّره قودولي **M.Godelier** في كتابه "المثالي والمادي **L'idial et matériel**" (**1984**). فهو يشير خاصة إلى أنّ كلّ علاقة اجتماعية، مهما كانت، تتضمن جانباً مثالياً وجانباً من الفكر والتمثّلات في الآن ذاته، وهذه التمثلات أو التصوّرات ليست فقط شكلاً لهذا الغطاء الذي تأخذه المعرفة، إنّما هي جزء من محتواها، ففي تصور قودولي **M.Godelier** من غير الممكن تقليص الأفكار إلى نظام انعكاس بسيط للواقع المادي فقط.

ويعود الفضل لأخام **G.d'Occam** (حوالي **1290–1349**) في إعلان القاعدة التي تحمل اسمه (شفرة أخام **Le rasoir d'Occam**) القائمة على مبدأ أنّه "لا يجب أن نحمّل الجوهر (الذات) أكثر ممّا هو ضروري له وأكيد"، ويتعلق الأمر هنا بقاعدة حادة ترى وجوب قطع (كما هو الحال في الشفرة) كلّ الافتراضات التي تخرج عن جوهر الشيء، والتي قد تجر إلى احتمال التفكير فيما هو فوق إطار الموضوع ذاته، فمثلا لفهم ظاهرة من العالم الفيزيائي ليس من الضروري الاستعانة بفكرة ميتافيزيقية لتفسيرها، لأنّ الفكرة غير مستقلة عن الشيء الذي تشير إليه أو ما يُدعى "الاسمية **Nominalisme**"، ففكرة الحصان مثلا لا وجود لها بمعزل عن الأحصنة التي تشير إليها. وتندرج قاعدة "الشفرة" لأخام ضمن الإرادة التي تطمح إلى بناء معارف وضعية متجاوزة التفكير المدرسي (السيكولاستيكي)، الذي كان مفخرة القرن الوسيط، ومتحرّرة عنه[17].

2- التجربة والعقل: التفكير في أصل المعرفة يجعلنا نحتك مباشرة بالتطورات الإيبستمولوجية حول الحوار الذي كان يضع بين طرفي نقيض كلاً من العقلانية والتجريبية، وهذا النقاش شديد الارتباط بثنائية المادية /المثالية، دون حصرها في ذلك فقط.

يمثل العقلانية مجموعة مفكرين خاصة ديكارت R.Descartes (1596-1650)، فبالنسبة له يعتبر العقل وحده المؤسّس لمعارفنا، وهذه الأخيرة لا يمكنها أن تصدر من الحسّ وتأثير الواقع المادي عليها، فالوصول إلى "الحقيقي" لا يمكن أن ينجر إلاّ عن المسار المنطقي للفكر (لهذا كتب ديكارت خطاب المنهج Discours de la méthode)، والحقيقة تفرض ذاتها من خلال قوة البداهة[18].

دافع من جهة أخرى عن الإمبريقية أو التجريبية مفكرون أمثال بيكون F.Bacon (1561-1626) ولوك J.Loke (1632-1704) وهيوم D.Hume (1711-1776)، وبالنسبة لهؤلاء تعتبر المعرفة ناتجة عن الإدراكات الحسية (Perception)، ما يعطي الأولية للفعل، و لا يعني هذا أنّ الموضوع المدروس مهمل أو ملغى، فقد دعا Bacon بيكون بوضوح إلى إنشاء طريقة مزدوجة وفعالة، تنطلق من الأفعال للوصول إلى المعرفة من جهة، وتنطلق من المعرفة للوصول إلى الأفعال من جهة أخرى[19].

ولا يجب الخلط بين الإمبريقية (التجريبية) كنظرية للمعرفة، لا تجد اليوم من يدافع عنها في شكلها الساذج، وبين ضرورة التحقيق المعرفي ميدانياً، والذي أصبح عنصراً لا مناص منه في العمل العلمي، ما يستدعي التفرقة بشكل عام بين العلوم المنطقية الصورية أو الشكلية القائمة على علوم معرفية فقط (المنطق، الجيومتري، الجبر) والعلوم الإمبيريقية المرتكزة على موضوع (Objet) تطمح معالجته ميدانيّاً (الفيزياء، الجيولوجيا، علم الاجتماع، العلوم السياسية) [20].

3- الوضعية والتطوّريّة: ترتبط الوضعية عامة باسم أوغست كونت A.Comte (1798-1857)، والذي يعتبر فعلاً الداعية الأكبر والأكثر شهرة ووضوحاً لهذا الاتجاه، لكنّنا نجد مؤلفين آخرين يتبنون، مع وجود تحفّظات بينهم وبين أوغست كونت، الأفكارَ الوضعية أمثال جون استورت ميل J.S.Mill (1806-1873) وبرتيلو M.Berthelot (1827-1907)

وبرنارد C.Bernard (1813–1878) وتان H.Taine (1828–1893) ودوركايم E.Durkhaim (1858–1917) وليتر E.Littre (1801–1881) وغيرهم.

ترتبط الوضعية بالنسبة لكونت A.Comte ببروز مرحلة العلم التي تميز "المرحلة الوضعية" وهي آخر محطة في "قانون المراحل الثلاث" بعد "المرحلة التيولوجية" (الدينية) و"المرحلة الميتافيزيقة" (الفلسفية)، ويرتبط المذهب الوضعي بالمنتوج "الناضج" الذي قدّمه التطور البشري، والخدمات الجمّة التي أسدتها العقلانية العلمية له، وعلى المعرفة عند كونت أن تستند في منهجها على ملاحظة الواقع بعيداً عن المعارف "المسبقة"[21]، ما يجعل من الوضعية نسقاً إمبريقياً يرتبط بالولائية أو الدينية للعلمن والتي تقوم على الحتمية الميكانيكية "Déterminisme mécaniste".

وهنا يبدو أن موقف كونت A.Comte غامض، فهو من جهة يشير إلى أن أي اقتراح لا يمكن أن يكون ذو معنى ما لم يتمّ بلورته في فعل ملموس، في حين أنّه ينتقد من جهة أخرى الإمبريقية ويحتج على كانط Kant وليبنتز Leibnitz لأنّهما يعلنان عن وجود تنظيمات ذهنية تلقائية عند الإنسان[22].

ولا يجب الخلط بين المذهب الوضعي والمقاربة الوضعية في بناء المعارف، فمفهوم الوضعية في الحالة الثانية نقيض "المعيارية"، فلا يمكن للمعرفة أن تكون المعرفة وضعية إلاّ إذا تناولت ما هو كائن، بعيداً عن "المعيارية" التي تبحث عما يجب أن يكون أو ما هو ذاتي[23].

أمّا ما يتعلّق الوضعية المنطقية Positivisme Logique (أو الإمبيريقية التجريبية المنطقية) فقد تعلّقت بالتصوّر الذي طورته دائرة فينا Cercle de Vienne، هذه المجموعة التي تشكّلت عام 1922 بمبادرة من شليك M.Schlick (1882–1936) والتي ضمّت بين صفوفها مؤلفين من أمثال نوراث O.Neurath (1882–1945) وكارناب R.Carnap (1891–1976).

أثر فيها كلّ من وينتنستون L.Wittgenstein (1889–1951) وروسل B.Russel (1872–1970) تأثيراً كبيراً خاصة بعد خروجها من ألمانيا، وكما ذاع صيتها أكثر بعد نشر الدائرة (عام 1929) "لبيانها" الذي يحمل اسم "التصور العلمي للعالم La conception

"scientifique du monde".

يتجلّى الاهتمام المشترك لجماعة "دائرة فينا" في معارضة اللاعقلانية والتصورات الميتافيزيقة، فهم يدافعون من أجل وحدة العلوم (العلوم الطبيعية وعلوم الفكر)، ويؤكّدون على أن الإمبيريقية تستمد معناها من الوقائع المفسرة (لا المضاربات أو الأفكار القبلية)، ويشدّدون تركيزهم على ضرورة الاستعمال الواضح للغة لأنّها تفسّر مرجعيتها للمنطق، فكما يقول وتنستون **L.Wittgnstein** «من يسمح لنفسه بالاسترسال في الحديث، فليسترسل في الحديث بوضوح»، كما يؤكّد بيان الدائرة على أنّ "الدقة والوضوح مطلوبان، أمّا الأبعاد المظلمة في الأعماق والتي لا يمكن إدراك قعرها في مرفوضة".

وعلى خلاف الكثيرين فإنّ "دائرة فينا" تعتز بفلاسفة الأنوار، معتقدة مثلهم أنّ العبارات الوحيدة التي تحمل معنى هي العبارات الخاضعة للتحليل المنطقي، والتي يمكن تفكيكها إلى مفردات أكثر بساطة تتّصل "بالمعطيات التجريبية". فالوضعية المنطقية تناضل من أجل إيبستمولوجيا قابلة للاختبار (**Epistémologie vérificationiste**) أو لا تحمل في ذاتها إلاّ ما هو قابل للاختبار" حسب ما يقول كارناب **R.Carnap**، بذلك ترفض كلّ المفاهيم الميتافيزيقية[(24)].

فقد ورد في بيانها: «كزناي **Quesnay**، آدم سميث **Adam Smith**، ريكاردو **Ricardo**، كونت **Comte**، ماركس **Marx**، منجر ولراس **Walras**، وذلك من أجل الإشارة إلى باحثين من مختلف التوجّهات، فقد عمل كلّ هؤلاء بروح ذات بعد إمبريقي مناهض للميتافيزيقية، لأنّ موضوع التاريخ والاقتصاد السياسي هي الرجال والأشياء ومدى توافقهم»[(25)]، إذا كانت "دائرة فينا" تُسجل ضمن التقليد الإمبريقي، فهي تنفصل عن الإمبريقية الساذجة والاستقرائية **Inductivisme**.

وفي أقصى الحدود المتطرفة للوضعية تقع "العلموية" التي ظهرت عام **1911** حين أعلن البيولوجي دنتيك **Ledantec** أنّه علموي رافضا بذلك كل أشكال "الميتايزيقا". ويرى البعض أنّها لا ترقى إلى مستوى الخطاب الإيبستمولوجي، إنّما هي مجرد مجموعة آراء ومعتقدات وأحكام سياسية، تقوم على الإيمان المطلق والمفرطة في ما توصلت إليه نتائج العلم،

والخدمات الإيجابية التي يمكن أن تقدمها للإنسانية، فكل القرارات السياسية والمجتمعية يجب أن تصدر من قبل باحثين وإلاّ فهي باطلة وعلى الدولة أن يحكمها رجال العلم، وهي حسب وصفة رينان Erenen (1823–1892) هي "التنظيم العلمي للبشرية"، وتعطي العلموية أهمية كبيرة للتربية باعتبارها وسيلة ناجعة لتجريد الفكر البشري من الحجم الأكبر من التصوّرات الميتافيزيقية والتيولوجية (الدينية) ما يجعل التسيير العقلاني للمجتمع ممكناً.

وفي تصور العلمويين المتطرفين يجب إعطاء السلطة السياسية للعلماء، وبهذا الخطّ يسدّ هذا التصور الطريق أمام الديمقراطية أو كلّ حلّ ديمقراطي : فالحل "العلمي" الذي تمّ التوصل إليه من طرف المختصين غير قابل للنقاش، ورغم تناقص هذا الاتجاه إلاّ أنّه يأخذ أشكالا مختلفة في كلّ مرّة آخرها الارتباط المطلق بقُدرة التكنولوجيا الحديثة[26].

فإن كانت الوضعية تؤمن بنهاية تطور المسار البشري واستقراره عند آخر محطاته (المرحلة الوضعية)، فالتطورية ترى أنّ الوجود الواقعي مستمرّ في نموه «فعالم الفكر والمؤسسات الإنسانية يخضع لقانون واحد شامل هو قانون التطوّر، وبالتالي فإنّه من الممكن دوماً تفسير الأشكال العليا من الواقع بالتطوّر الذي يلحق الأشكال الدينامية»[27]، البدايات الحديثة للتطورية قامت على يد البيولوجي داروين (1809–1882) ثمّ توسعت لمختلف مجالات العلم فأصبحت النظرية الأكثر انتشارا، وجعل منها هربرت سبنسر (1820–1903) "فلسفة تركيبية" تجمع عندها مختلف العلوم عبر عصورها ضمن "مجال المعلوم" دون اقصاء "مجال المجهول" الذي يتجاوز ادراكاتنا، والذي هو من اختصاص غير العلم من دين وميتافيزيقا، وكلّما اهتمّ الواحد بمجاله دون الخوض في مجال الآخر اتفقا وتقدّما، وعلى فلسفة العلوم تجميع النتائج[28].

4- المادية العقلانية والعقلانية النقدية: ظهر مؤلفان أساسيان في بداية سنوات الثلاثينيات من القرن الماضي هما: "الروح العلمية الجديدة Le nouvel esprit scientifique" لغوستاف باشلار G.Bachlard (1884–1962)، و"منطق الاكتشاف العلمي Logique de la découverte scientifique" لكارل بوبار K.Popper (1902). وعادة ما يوضع هذا المؤلفان في طرفي نقيض، رغم أنهما يشتركان في كونهما سجّلا تجاوزاً لبداية

الإمبريقية العقلانية.

تتموضع "المادية العقلانية Matérialisme rationnel" بالنسبة لباشلار Bachelard في مركز الطيف الإيبستمولوجي المُشكّل من الطرفين المتطرفين: المثالية والمادية، أمّا بالنسبة لبوبار Popper فالعقلانية النقدية رفض مزدوج للمثالية من جهة والوضعية المنطقية من جهة أخرى، ويتعلّق الأمر –لكلا الحالتين– بالتأكيد على إمكانية التوصل إلى معرفة موضوعية (بشكل تقريبي) من جهة وفعالية دور الذات (Sujet) في بناء المعرفة من جهة أخرى، كما يشترك هذان المفكران بالخصوص في تركيزهما على أهمية المشاكل العلمية، فقد سجّل بوبار بأنّ العلم يولد في المشاكل وينتهي في المشاكل، في حين أكّد باشلار على أنّ الطريقة العلمية تقتضي بناء إشكالية تأخذ انطلاقتها الواقعية من "مشكل" تمّ طرحه بشكل خاطئ[(29)].

وجّه غاستون باشلار نقداً شديداً للفردانية والإمبريقية، فالفعل العلمي يُبنى على ضوء إشكالية نظرية، ويقوم ضدّ البديهية وضدّ كلّ التصوّرات المسبقة للمعارف الجاهزة، بهذا المعنى يتحدّث باشلار عن "فلسفة الرفض Philosophie du Non"، لأنّ الوصول للمعرفة كما هو الحال في تاريخ العلم يرتكز على "القطيعة الإيبستمولوجية Coupure épistémologique" التي تُحدث انفصالاً نوعيا مع "التفكير القبل– علمي Pré-scientifique"، فمن أجل إنتاج معارف جديدة يجب تخطي العوائق الإيبستمولوجية[(30)].

يرى باشلار أنّ كلّ معرفة ما هي إلا معرفة تقريبية، فالصحيح علميّاً في رأيه هو بمثابة التصحيح التاريخي لخطأ طويل، وما التجربة إلاّ تراكم لتصحيح التصورات المشتركة والأولية"، فهو يناضل من أجل "إيبستمولوجية توافقية Epistémologie concordataire" تقع في طريق وسط بين الإمبريقية والعقلانية[(31)].

يعيد كارل بوبار نفس النقد الذي قدّمه دافيد هيوم للاستقراء والاستقرائية، ذلك أنّ مجموعة من الملاحظات لا تسمح باستنتاج أطروحة قابلة للتعميم، ومن خلال هذه الانتقادات أعادة بوبار النظر في فكرة "التحقيق" التي تعتبر من القواعد التأسيسية للوضعيين، "فالتحقّق" من فرضية معينة، ولو بعدد كبير من التجارب، لا يسمح لنا بالوصول إلى

"الحقيقة الكلية" لهذه الفرضية، لأنّ الأطروحة العلمية ليست الأطروحة القابلة للتحقيق، إنّما هي الأطروحة القابلة "للدحض أو النقض **Réfutable**" (إمكانية البطلان)، وهذا لا يعني أنّها الأطروحة المرفوضة (**Réfuté**). فأطروحة "الإله موجود" بالنسبة لبوبار تحمل معنى لكنّها ليست علمية لأنّها غير قابلة للدحض، أمّا أطروحة "كلّ الإوز أبيض" فهي حدس وافتراض علمي، لأنّك إذا رأيت إوزاً أسوداً تجعل من الأطروحة السابقة قابلة للدحض. فسيرورة الإفتراضية (الحدسية **Conjectures**) والدحض (النقض)، بالتالي، هي التي تسمح بالوصول إلى المعارف العلمية، وفي هذا الإجراء مبدأ أولي لنظرية "ما فوق الملاحظة"(32).

تعرضت دحضية **Réfutationisme** كارل بوبار للنقد خاصة من قبل لاكاتوس **I.Lakatos**، الذي يشير إلى أن العلماء يتقبلون بصعوبة نتيجة التجارب الأساسية التي تدحض بناءهم النظري، وعادة ما يحاول الباحثون أمام النتائج التي تعيد النظر في افتراضاتهم إيجاد استراتيجيات تحصينية لنتائجهم، ويقترح بالتالي لاكاتوس دحضية أو نقضية متطوّرة، بأن يعمل العلماء في إطار برنامج للبحث العلمي يضم نواة صلبة وحزاماً واقياً للفرضيات المساعدة، وهذه الأخيرة وحدها قابلة للدحض.

فبرنامج البحث المقترح يتميز في نفس الوقت باستكشاف إيجابي **Heuristique positive** (وهو ما يجب البحث فيه والمناهج المستخدمة لذلك) واستكشاف سلبي **Heuristique négative** (المجالات التي لا يجب البحث فيها والمناهج التي لا يجب استخدامها)، بذلك قد يكون برنامج البحث "تطوريا" بتوليد أفكار ومعارف جديدة من خلال التأثير والتأثر، أو "ارتداديا **Régressif**" إذا فقد بفقدان التأثير والتكيف بين مفكريه، فالبرامج العلمية في أصلها تنافسية تستطيع أن تتعايش دوماً مما يفسر إثراء المناقشات والحوار العلمي(33).

وللإشارة هنا فالاستقرائية المعيارية تصوّر ايبستمولوجي ساذج، لا يجد اليوم من يدافع عنه إلاّ أنّ "الإمبريقية" في الأصل فلسفة ونظرية للمعرفة، أمّا الاستقرائية فهي قبل كل شيء آخر قاعدة منهجية في العمل العلمي.

5- <u>القطيعة و الاتصال</u>: تُصوّر الوضعية تاريخ العلوم على شكل خطّ مستمر، يأخذ

شكله من خلال السمة التراكمية للمعارف المنتجة، وقد عارض توماس كوهان Thomas Kuhn هذا التصور في كتابه "بناء الثورات العلمية La structure des révolutions scientifique"، إذ يرى هذا الإيبستمولوجي أنّ تاريخ العلوم يتميز بمراحل متعاقبة، تساده مرحلة "العلم العادي Science normale" أين يشتغل الباحثون في إطار مجال معين، وتحت مظلة "تصوّر أو محدّد نظري" (Paradigme البراديجم)" سائد، لكن بمجرد إعادة النظر في هذا البراديجم السائد عن طريق ملاحظات جديدة أو براديجمات جديدة في طور النشأة، يدخل تاريخ العلم في مرحلة جديدة هي مرحلة "الثورة العلمية" التي تقود الباحثين بعد ذلك ومن خلال توسع هذا البراديجم الجديد إلى مرحلة أخرى من "العلم العادي".

وجّهت لأطروحة كوهن T.Kuhn انتقادات من ناحيتين: فمن جهة، يعتبر محتوى العلم العادي نتيجة اتفاق Consensus يتمّ بين أحضان المجموعة العلمية دون أن يُحدّد بمواصفات موضوعية، مما جعل لاكاتوس Lakatos يتّهم كوهن بالنسبية في تحليله. ومن جهة أخرى يُلاحظ المتتبّع لتاريخ العلوم الطبيعية وكذا العلوم الاجتماعية وجود تعايش، ولفترات طويلة، بين عدّة براديجمات متناقضة بشكل تنافسي دون أن تفرض إحداها نفسها على البرديجمات الأخرى باعتبارها "العلم العادي".

فإذا كان الفضل يعود لكوهن T.Kuhn في الإشارة إلى القطيعة والتغير الجذري النظري في مسيرة تاريخ العلوم، إلا أنّ منهجية برامج البحث العلمي المقترحة من قبل لاكاتوس Lakatos أحسن من حيث إعطاء الأهمية لتعدّد البرديجمات في أحضان أغلب التخصّصات(34).

ويعكس تاريخ العلوم، في التصوّر الأكثر حداثة، الحيوية والديناميكية الواقعة في المناقشات العلمية داخل كلّ التخصّصات بعيداً عن كون ذلك ضعفاً في سيرورتها، إنّما هو خصوبة وثراء لها. فتصارع أو حتّى تطاحن الفرضيات والمقاربات ونتائج التجربة والملاحظات يَدعو إلى تطوّر المعارف العلمية، فالمناقشة التي فتحها مثلاً ماكس فيبر M.Weber من خلال كتابه "الأخلاق البروتستنتية والروح الرأسمالية L'éthique protestante et l'esprit du capitalisme" طورت بلا شك علم اجتماع الأديان وفهم طبيعة الرأسمالية، كما أنّ

الطروحات التي قدّمها كارل ماركس K.Marx زادت من البحوث والأعمال الإمبريقية والنظرية المتعلّقة بالطبقة الاجتماعية وطبيعة الدولة[35].

إنّما ليكون النقاش العلمي مُنتجاً وخصباً عليه أن يخضع لقواعد المجال العلمي الذي يحكمه، فقد أشار إدغان موران E.Morin في كتابه "العلم بوعي Science avec conscience" إلى أنّ ما يجب الاحتفاظ به كشرط أساسي، حتّى لحياة العلم في حدّ ذاته، هو التعددية التنازعية أو التنافسية داخل الرهانات التي يجب أن تخضع لقواعد إمبريقية.

6- العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية: في مقابل التصور الذي يَدعو إلى وحدة العلوم، والذي يمثله الاتجاه الوضعي، نجد اتجاهاً فكرياً آخر يذهب مع تصوّر وليام دالتي W.Dilthey (1833–1911) الذي يؤكد على وجود قطيعة راديكالية بين علوم الطبيعة Sciences de la nature وعلوم الفكر Sciences de l'esprit، فلا يجب على هذه الأخيرة الخضوع للمنهجية التي تتبناها العلوم الطبيعية لأنّ موضوعهما مختلف عن بعضهما تماماً. ففي المعرفة الخاصة بالطبيعة، والتي هي خارجية، يمكن إعادة التجربة وبناء خطاب موضوعي، لكن المعرفة المتعلّقة بعالم الفكر لا يمكن الاستعانة فيها إلاّ بالفهم، وذلك عن طريق الاستبطان وإدراك مدلول الأفعال الإنسانية.

يقترح دالتي W.Dilthey، ومن أجل الوصول إلى هذا الفهم، استخدام المقاربة أو الطريقة التأويلية أو "الترميزية Herméneutique" (وهي نظرية في تأويل الإشارات على أنّها عناصر رمزية معبّرة عن حضارة معينة، وكانت تستخدم خاصة في تفسير الكتب المقدسة والقوانين القديمة)، التي تفسير الظواهر المرئية للفكر الإنساني، ويرى بالإضافة إلى ذلك أن علوم الفكر لا يمكنها أن تكون بمعزل عن الأحكام المتعلّقة بالفعل وبالقيم، فمن المستحيل أن لا نحكم على الأفعال ونحن نستعرضها.

كما يؤكد مؤلفون آخرون على تميّز علوم الفكر (أو علوم الثقافة) لكن بتبني موقف أقلّ راديكالية من موقف دالتي W.Dilthey أمثال وندلباند W.Windelband (1848–1915) وريكارت H.Rickert (1863–1936)، والذين يعتبرون اختلاف علوم الفكر عن غيرها قائم على مستوى المنهج لا الموضوع، فللعلوم الطبيعية طموح شمولي لأنّها تهدف إلى

صياغة قوانين عالمية (Nomos)، وهي تُدعى "العلوم النومولوجية Nomologique" أو العلوم التي تدرس القوانين، فهي تصوغ اقتراحات قاطعة وقابلة للإثبات Apodictique لها قوة الانتشار الواسع، وبالعكس من ذلك فلعلوم الفكر طريقة تطمح إلى التفكير في ما هو "فردي Singularité"، وتنبثق من وصف الأفعال الخاصة، لدى تُدعى "العلوم الإيديوغرافية Idéographiques" لأنّها تصوغ قضايا تقديرية Assertorique تتعلق بموضوع خاص[36].

ويهتم الكثير من المعلقين على كتب ماكس فيبر اليوم في البحث عن ما يفرقه عن الإيبستمولوجية الدالتية، وهنا نشير إلى ثلاث نقاط أساسية على الأقل، فمن جهة يعبر فيبر من خلال مفهوم النماذج المثالية Idéal-Type عن طموح نموذجي، ممّا يعكس إرادته في عدم التقيد بالوصف البسيط، ومن جهة أخرى يؤكد من خلال تعريفه لعلم الاجتماع على ضرورة الاستعانة بطريقة الفهم والتفسير النسبي. وأخيراً يجب الإشارة إلى الأهمية التي يعطيها فيبر للحياد الأخلاقي والتي تسمح بتجاوز النظرة الذاتية التي هي غير قابلة للمناقشة عند تأويلية دالتي W.Dilthey.

كما ينضمّ الكثير من الاقتصاديين الليبيراليين لخانة التقليد الداعي لوحدة العلم، والذين يقبلون (بدرجات متفاوتة) فوقية العلوم الطبيعية خاصة الفيزياء على غيرها، وفي هذا الاتجاه يتبنى هايك F.Hayek (1899–1992) وجهة نظر مختلفة، فهو يرفض "الديكتاتورية" أو الطغيان الذي تمارسه مناهج الفيزياء على المجالات المعرفية الأخرى نتيجة التأثير السلبي "للأحكام القبلية للعلمنة"، ويُؤكد على الطابع الذاتي للظواهر الاجتماعية، وإمكانية وصولها إلى المعرفة المباشرة لمعاني الفعل الاجتماعي عن طريق الاستبطان، ويعارض من جهة بكل وضوح إمكانية الوصول لدرجة الموضوعية، فالعلمنة تقود إلى وجهة نظر مغلقة ومحدّدة وكلية وإلى نسبية تاريخية، لهذا يدعو هايك F.Hayek على العكس من ذلك إلى تبني الطريقة الفردانية (Démarche individualiste) من خلال تركيزه على خصوصية "العلوم الأخلاقية"، بذلك أعلن عن ما أصبح يُسمّى بـ "التشييدية Constructivisme".

إذا كانت معرفة القوانين في العلوم الطبيعية تسمح للإنسان بالتأثير على الواقع

وتشكيله تبعاً لأهدافه، فإن ذلك لا ينطبق في تصور هايك F.Hayek على مجال السياسة والاقتصاد والمجتمع، لأنّ تنظيم المجتمع ناتج نظام تلقائي لا يمكن تغييره أو التحكّم فيه بشكل واع، إلاّ أنّ الكونيين (Les planistes) يرغبون في تنظيم المجتمع حسب نموذج المهندسين القائم على قاعدة المعارف العقلية، لهذا سقطوا ضحايا التصوّر أو الوهم العلموي (العلمني)[(37)].

إنّ التعارض الذي يدافع عنه دالتي W.Dilthey، تمّ رفضه من قبل الكثير من علماء الاجتماع الذين ليسوا هم الآخرين بالضرورة وضعيين، أمثال بورديو Pierre Bourdieu وباسرون J.C.Passeron وشامبوردون J.C.Chamboredon في كتابهم "عمل السوسيولوجي Le métier de sociologue" مشيرين إلى أنّ هذا التعارض "ساذج وكاريكاتوري"، فميزة العلوم الطبيعية غير مصبوغة هي الأخرى بالإشراق في طريقها نحو الحقيقة، ولا تضمّ دوما في جنباتها مقترحات مشتركة بين جميع الباحثين ولا تتميّز بالحياد المعرفي التلقائي، فكثيرا ما كان الفزيائيون والكميائيون والبيولوجيون يتساءلون عن موضوعهم ويتناقشون باستمرار في قضايا الحتمية والمادية[(38)]، فحين كتب الفلكي الفيزيائي ليفي لويبلوند J.M.Levy-Leblond أن "الفيزياء علم اجتماعي" كان ينتقد بطريقته الخاصة البديهية الكاذبة القائمة على الادعاء بوجود القطيعة بين "علوم قاسية" و"علوم رخوة"[(39)].

يرى أرونث H.Arendt (1906–1988) أن التعارض بين العلوم الطبيعية والعلوم التاريخية قد تمّ تجاوزه، كما يُؤكد بياجيه J.Piaget على أنّ من غير الممكن إيجاد فروقات ذات معنى على مستوى المناهج بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية. ويشير بورديو Pierre Bourdieu من جهته كجواب لما سبق إلى وحدة النشاط العلمي الذي يستند على (مهما كان التخصّص) بناء نماذج مطبوعة بتجانسها الداخلي وقابليتها للنقض أو الدحض الإمبريقي[(40)].

وقد خصّص الأنثروبولوجي تيستار A.Testart كتابه "محاولة في الإيبستمولوجيا Essai d'épistémologie" لنقد التناقض البسيط المزعوم بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية، مشيراً بالخصوص إلى هذين النمطين من النقد المُعتاد توجهّهما للعلوم الاجتماعية في

علمنتها، فعلى كلّ نظرية في موضوع "الاجتماعي" أن تواجه جبهتين، جبهة الذين لا يتصوّرن العلم إلا بالحساب والتجربة، إذ لا يستطيعون تخيل علوم أخرى غير العلوم التي يعرفونها من قبل، ويتمسّكون بالنموذج المثالي لما هو علمي، المتمثّل في "النموذج التعيس" للفيزياء والذي يجب الاقتداء به، معترضين دوماً على العلوم الاجتماعية إمكانياتها النظرية. وجبهة أخرى لا تُعير اعتباراً كبيراً للعلوم الفيزيائية، نصّبت أصحابها أنفسهم أبطالاً للذاتية والنسبية والتأويلية وما يفوق الوصف، ويغالون في مدح العلوم الاجتماعية لأكثر من سبب غير موجود فيها، فهم بذلك يشكّلون استمرارية للتيولوجيا أو الفكر الديني بطرق جديدة[41].

7-الموضوعية درجاتها: يستهدف المثل الأعلى لكلّ خطاب علمي إنتاج معرفة موضوعية عن الواقع، فالعلم يقف ضد الأفكار الجاهزة والضغوط والتصورات والآراء والأحكام القيمية، ويهدف إلى إنتاج معارف مصاغة بلغة دقيقة جدًّا يجعلها خاضعة للنقد واختبارات الرفض أو القبول أو التحقق، وترتكز هذه الموضوعية، في التقليد الوضعي، على ضرورة التخلي عن الأفكار القبلية والخضوع لقرار الظواهر مهما كان[42].

زعزع النقد الموجّه للإمبريقية والاستقرائية، بقوّة، هذا البناء الخاص بمفهوم الموضوعية، وفي هذا الإطار تعرّضت "موضوعانية" إميل دروكايم **E.Durkheim** وأتباعه للنقد اللاذع، وتبنى بعض علماء الاجتماع، وقوفاً ضد هذه الموضوعانية المفرطة، وجهة نظر ذاتية ونسبية، مؤكدين على أن عالم الاجتماع، كونه يعيش بين الموضوع الذي يعالجه لا يمكنه "دراسة الظواهر الاجتماعية كأشياء".

وأمام تعرّض "الاجتماعي" في دراسته لآراء مختلفة، يصبح الحزم بينها أو ترجيح الواحد على الآخر غير ممكن، وتبقى لكلّ الخطابات في هذا النطاق قيمتها العلمية ما دامت تدّعي أنّها تبني الظواهر لكن وفقا لوجهة النظر التي تناسبها[43].

هكذا تضع التصوّرات النسبية يمكن معارضة مفهومَ "الموضوعانية" في حرج وتجبرها على الاعتراف بنسبيتها هي الأخرى، فالواقع حقيقة غير شفافة، لهذا يجب على الظواهر ان تكون مبنية، ولا يجب أن تكون مبنية بشكل تعسفي، فهي مبنية انطلاقاً من إشكالية يمكنها بل

يجب أن تكون توضيحية لموضوعها، وعلى عالم الاجتماع تحديد مصطلحاته وتوضيح تقنيات بحثه كما أنّ عليه أثناء هذا العمل العلمي التحلّى "باليقظة الإيبستمولوجية"، فأسئلة الاستمارة مثلا قد تحمل صيغة تاثيرية على الإجابات، واستخدام المعطيات الإحصائية دون إخضاعها للحسّ النقدي قد يوصل إلى نتائج وهمية. لهذا على الباحث تدريب نفسه باستمرار على اليقظة الايبستمولوجية ونظرا لاحتمال السقوط في المزالق كان العمل الجماعي أحسن ضابط موجّه لأنّه يسمح في الآن ذاته بالتركيز على التجربة المباشرة الآنية (وأحيانا على المعاني المشتركة) التحرر من الأفكار القبلية وتحطيمها.

إلاّ أنّ الموضوعية لا تُعطَى جاهز بشكل تام، لأنّها تمثّل المثل الأعلى الذي يطمح الباحث للوصول إليه، ولا يتمّ ذلك كلّه إلاّ ببذل المجهود المستمر في طريق القطيعة الايبستمولوجية. وكما يرى إلياس N.Elias (1897–1990) على الباحث في العلوم الاجتماعية أن يتموقع دوماً بين "الالتزام" و"التباعد"[44].

8– <u>الكلية والفردانية Holisme et Individualisme</u>: رى الكلية المنهجية أنّه لا يمكن حصر مفهوم المجتمع أو الاقتصاد في مجموع الأفراد المكونين لهما، فلو كان كذلك، كما يقول إميل دروكايم E.Durkheim، لمَ أصبح لعلم الاجتماع موضوعه الخاص به باعتباره تخصصاً علمياً مستقبلا بذاته، لأنّ ذلك يعيد الظواهر الاجتماعية لعلم النفس الفردي. وقد أكد كارل ماركس من جهته أيضاً أن منطق أنماط الإنتاج وإن كان مرتكزاً على الأفراد إلا أنه لا يتم إلاّ من خلال التناقضات الاقتصادية والسياسية والإيديولوجية، ويُلحّ المنتمون للبنائية والبنائية الوظيفية بدورهم بدرجات مختلفة على أسبقية البنية على الفرد، وفي تصور هذا الاتجاه يعتبر الاهتمام بالظاهرة الاجتماعية اهتماماً بالمحدّدات الاجتماعية التي تفسر السلوكات الفردية[45].

إنما يجب التفرقة بين الفرد الفردي والفعل الاجتماعي، فحين يصف مثلا ماركس السلوكات الرأسمالية الناتجة عن التناقضات البنائية لنمط الإنتاج عند الرأسمالي، فهو لا ينفي أن يتبنى هذا الرأسمالي أو ذاك سلوكاً آخر مختلف أحيانا أو قد يعود أحيانا إلى المعسكر الطبقة العمالية، كما يصف ذلك إنجلز، إنّما البحث يتعلّق هنا بمحدّد اجتماعي عام.

أمّا الفردانية المنهجية فترى أنّ كلّ الهويات الجماعية تسقط في النهاية تحت رحمة قاعدة "شفرة أخام"، وأنّ الحقيقة الوحيدة التي يمكن ملاحظتها هي "الفاعل الفردي". بذلك يعتقد مستهلكو أو منتجو النظرية الاقتصادية الكلاسيكية الجديدة، وعلماء الاجتماع المساندون لريمون بودون Boudon أن كلّ الظواهر الاجتماعية ناتجة عن تجميع السلوكات الفردية، ومن أجل دراسة هذه الظواهر الاجتماعية يجب الانطلاق من مسببات الفاعل، ويرفض المدافعون عن الفردانية المنهجية وجهة النظر التي ترى أن الفاعل (الاجتماعي) الفردي ما هو إلا حصيلة نتاج للبيئة(46).

ومنذ وقت طويل كان يدعو الكثير من السوسيولوجيين إلى تجاوز هذا النقاش، وهذا ما أعلن إلياس N.Elias في وضعيته والتي تقترح مصطلح "التناسبية" Configuration للإشارة إلى الجمع التفكير في الآن ذاته بين السلوكات الفردانية والمضمون الاجتماعي أو السياق الاجتماعي القسري الذي تجري بداخله هذه السلوكات الفردية والتفاعلات الاجتماعية.

هذه الإرادة في التجاوز توجد عند علماء الاجتماع الفرنسيين المعاصرين أيضاً، أمثال بيار بورديو Pierre Bourdieu الذي يقترح بناء السوسيولوجيا على النسبية المنهجية Relativisme méthodologique، وتوران A.Tourain الذي يشير، في نفس الوقت، إلى ثبات البيئة الاجتماعية وعلاقات الطبقة و"العودة دوما إلى الفاعل"(47).

خاتمة: لقطيعة الموجودة بين المفاهيم التي عرضناها (مادية/مثالية، إمبريقية/عقلانية) تسمح بتوجيه مجال الحوار والنقاش، فمن الخطر أن نجعلها تناقضات لا يمكن تجاوزها، أو أن نختار التموقع ضمن "الرافضيين Refutationste" أو "التحقيقيين Verificationiste". وتعتبر في الحقيقة وجهات نظر المفكرين دوما أثرى وأغنى من تبسيط أو تعميم مؤلفاتهم داخل هذه الثنائيات الجامدة.

فقد أشرنا مثلاً إلى إرادة باشلار في تأسيس إيبستمولوجية توافقية، كما أكدنا على إرادة ماركس في تجاوز المادية الميكانيكية أو الميتافيزيقية، كما أنّ جعل فيبر و دوركايم في طرفي نقيض يجب أن يتمّ بكلّ حذر، فكوهن Th.Kuhn نفسه يتحفظ من الذين يضعونه في

طرف نقيض بشكل مبسط مع بوبار K.Popper.

ويجب من جهة أخرى التمكّن من هذه المعارضات أو الثنائيات الأساسية التي تبني الحوار والنقاش العلمي، والحذر من أن يوصلنا هذا الأخير إلى تركيبات جديدة تدمج وتتجاوز المعارضات القديمة وتعمل على توليد رهانات أو مجازفات عشوائية جديدة.

الهوامش

(1)- André Lalande, Vocabulaire technique et critique de la philosophie, Paris, P.U.F. 1960 (mot. Epistimologie)

(2)- أنظر مثلا: محمد الوقيدي، ما هي الإيبستمولوجيا، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، ط.2، د.تا، ص 8-19.

(3)- A. Beiton et alii, Sciences sociales, 2e éd, éd. SIREY, 2000, 01

(4)- B.Russell, Problémes de philosophie, Petite bibliothèque, Paris, 1965, p.31

(5)- عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط.1، 1984، ص 439.

(6)- المرجع نفسه، ج1، ص157.

(7)- أنظر أسطورة أهل الكهف في الجمهورية: أفلاطون، الجمهورية، موفم للنشر، الرغاية، الجزائر، 1990، سلسلة أنيس، ص 311.

(8)- A. Beiton et alii, Op.cit, p.2

(9)- R.Muccielli, Philosophie de la connaissance, G.P.B, 1968, p.192-193.

(10)- عبد الرحمان بدوي، مرجع سابق، ج1، ص267.

(11)- المرجع نفسه، ج1، ص 91.

(12)- المرجع نفسه، ج1، ص 407.

(13)- Madeleine Grawitz, Méthodes des sciences sociales, 10 éd, Dalloz, Paris, 1996, p.11-12.

(14)- عبد الرحمان بدوي، مرجع سابق، ج1، ص407-408.

(15)- جورج بوليتزر وآخرون، أصول الفلسفة الماركسية، تر.شعبان بركات، ج.1، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ص 209-265.

(16)- Madeleine Grawitz, Op.cit, p.12

(17)- A. Beiton et alii, Op.cit, p.3.

(18)- R.Descartes, Discours de la méthode, éd. Pierre cailler, Genève, Suisse, p.13.

(19) – عبد الرحمان بدوي، مرجع سابق، ج1، ص395.

(20) – والأصل تقسيم العلوم إلى طبيعية وإنسانية، أنظر: موريس أنجلر، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات علمية، تر. بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة، 2004، ص58.

(21)- A.Comte, Discours sur l'esprit positif, Idea, Cérés, Tunis, 1994, p.10-20

(22) – Ibid, p.34.

(23) – A.Akour, P.Ansart (sous la direction), Dictionnaire de sociologie, Robert, Suil, 1999, p.411.

(24) – M.Boutefnouche, Introduction à la sociologie: les fondements, OPU, Alger, 2004, p.203-204.

(25) – A. Beiton et alii, Op.cit, p.6

(26) – A.Akour, P.Ansart (sous la direction), Op.cit, p.474.

(27) – محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم: العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط.5، بيروت، لبنان، 2002، ص30.

(28) – المرجع نفسه، ص31.

(29) – A. Beiton et alii, Op.cit, p.6

(30) – محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص37.

(31) – محمد وقيدي، مرجع سابق، ص73–74.

(32) – عبد الرحمان بدوي، مرجع سابق، ج1، ص369

(33) – A. Beiton et alii, Op.cit, p.7

(34) – Ibid, p.8

(35) – أنظر نماذج للقطيعة والاتصال في مجال العلوم الفيزيائية والرياضية: عابد الجابري، مرجع سابق، ص252 وما بعدها.

(36) – خواجة عبد العزيز، محاضرات جامعية في علم الاجتماع المعاصر، دار نزهة الألباب، 2007، ص130.

(37) – P.Bourdieu et alii, Le métier de sociologue: préalable épistémologique, 2éme éd, Mouon, Pris, France, 1973, p.19.

(38) – Ibid, p.22-23.

(39) – A. Beiton et alii, Op.cit, p.11

(40) – P.Bourdieu et alii, Op.cit, p.24-25.

(41) – A. Beiton et alii, Op.cit, p.11

(42) – C.Riviere, L'objet social, essai d'épistémologie sociologique, Librairie M.Rivire et Cie, 1969, p.36.

(43) – P.Ansart, Les sociologies contemporans, Seuil,1990, p.14.

(44) – A. Beiton et alii, Op.cit, p.12.

(45) – علي غربي، علم الاجتماع والثنائيات النظرية التقليدية والمحدثة، مخبر علم الاجتماع الاتصال، قسنطينة، 2007، ص65.

(46) – بودون.ر، بوريكو.ف، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، تر. سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص419.

(47) – P.Ansart, Les sociologies contemporans, p.121-126.